الترجمة وعلاقتها بالتأويل عند بول ريكور

واضح عبد الحميد

طالب دكتوراه بكلية العلوم الاجتماعية، شعبة الفلسفة جامعة مستغانم.

تمهيد:

إن المتتبع لحركة الترجمة عبر تاريخها الطويل لا يمكنه إغفال أهميتها داخل الحقل المعرفي بصفة عامة، فقد مثلت الترجمة منذ البدايات الأولى للفلسفة محوراً من المحاور الهامة والأساسية في الفكر الفلسفي، وكانت تعد قضيتها المركزية، بحيث كانت تضمن لها ذلك الانتقال والانفتاح الفكري في شتى المجالات المعرفية، مما جعل من علاقتهما خاصة الفلسفة المعاصرة علاقة أكثر اتصالاً واستشكالاً أيضاً، نظراً لتلك المعطيات التي تطرح اليوم في ساحة الفلسفة، وأصبح الموقف من الترجمة موقفاً فلسفياً كون الترجمة تتصل بمسائل فلسفية كاللغة والمعنى، وحتى المؤلف والقارئ معاً وللعلاقة التي بينهما، مما يجعل منها موضوعاً فلسفياً بامتياز، ولعل أهم التساؤلات التي يمكن أن نطرحها حول الترجمة: ما مفهوم الترجمة؟ وما علاقتها بالتأويل عند بول ريكور؟ وهل يمكن أن نعتبرها عملية تأويلية؟.

لقد ارتبطت الترجمة بعدة حقول معرفية متنوعة، فكان لها ذلك الدور البارز في تقريب وتوضيح المشكلات المعرفية التي طرحت عبر العصور، وكذا نقل الخبرات والمعارف المختلفة بين الشعوب في تعددها وتنوع ألسنها ولغاتها، كما أنها مسألة لغوية ترتبط بالنصوص ارتباطاً مباشراً وعميقاً، وكل نص بطبيعته يحمل دلالات ومعاني مختلفة، وبالتالي وجب معرفتها وفهمها، أي ترجمتها " لذلك نجد الترجمة ناشطة في كل الثقافات المندفعة في إحياء لغتها وتوسيع أفاق فكرها، ومدى وجودها، فالآخر المختلف هو الهناك المجهول والغامض والمخيف، والترجمة هي بداية تفكيك لسحره ووهجه بأن تجعله مقروءاً ومفهوماً ومفسراً".[1] فالنص عندما يترجم، كأنه يقوم بانتقال وتحول لغوي انطلاقاً من لغته إلى لغة أخرى، وهنا يكون هذا النص قد افتتح حياة أو عالماً معرفياً جديداً رغم احتفاظه في كثير من الأحيان بلغته الأصلية، "بكل سلطتها ومرجعيتها، ومعاييرها ونظام إنتاجها وتحكمها. ليست المسألة مجرد خلع النص الجديد لثوب لغوي سابق وارتداء ثوب لغوي آخر، بل هي عملية التحام وتشابك بل وصراع بين لغتين أو أكثر، تنتهي بتسوية لغوية بين ما عُبِّر عنه في اللغة الأولى، وما يمكن أن يُعَبَّر عنه في اللغة الثانية، بحيث يصبح الشكل الجديد للنص عبارة عن انصهار فضائين، فضاء لغة النص الأولى، وفضاء لغة الترجمة الثانية بكل أحمال أو أثقال الفضائين الثقافية والاجتماعية، والسلطوية بل والدينية ".[2]

فالترجمة وفق هذا الطرح المعطى، تقدم نوعاً من العلاقة المعرفية بين الألفاظ المختلفة، قصد توضيح المعنى وجعله أكثر تماسكاً حول ما يذهب إليه، أو ما يعبر عنه داخل ذلك الاختلاف اللغوي، الذي يصبح اختلافاً يسعى إلى تحقيق التلاؤم بين لغة النص الأصلية ولغته التي ترجم إليها، حيث يصبح هذا النص يحمل شكلاً متكاملاً، رغم تلك السياقات المختلفة." فالعهد الجديد في الإنجيل، كتب بلغة يونانية رغم أن المسيح كان ناطقا بالعبرية أو الآرامية، والمسيحيون يقرؤون الإنجيل بكل لغات العالم، ويعتقدون أن المسيح أو الله يخاطبهم بلغتهم هم".[3]

فبالرغم من هذا التعدد اللغوي إلا أن النص بقي واحدا، مع أن طريقة تناوله تعددت حسب تعدد تلك اللغات المختلفة،" ورغم أن قصة "كليلة ودمنة" وقصص "ألف ليلة وليلة"، هي ذات أصول هندية إلا أن واسطتها إلى العالم كانت باللغة العربية، وكذا الأمر بالنسبة إلى التراث اليوناني، كذلك فان كل الحكايات الأسطورية الكبرى، ابتداءً من قصص الأطفال الخيالية إلى الملحمية ك"الإلياذة" مثلا، كانت حاضرة بشكل عضوي داخل كل ثقافة، بحيث يعتقد غير الملتفت لأصولها الأولى أنها حكاية رمزية لتجارب محلية خاصة به".[4] فقد يحافظ النص على طابعه الخاص والأجنبي داخل ثقافات أخرى دون أن يحس القارئ أو المستمع بغربة ذلك النص بالرغم من ظهوره في لغة أخرى.

الترجمة عند بول ريكور:

لقد اهتم "بول ريكور" بقضية الترجمة في بداية عمله الفلسفي، من خلال ترجمته لكتاب " أفكار ادموند هوسرل"، إضافة إلى اهتمامه بالترجمات المختلفة للإنجيل، وكذا اتصاله بالفلسفات المعاصرة، مما عمق تجربته في مسألة الترجمة حيث يعتبرها نموذجا للفهم والتأويل، فهي ذلك اللفظ الذي يؤخذ إما " بالمعنى الحصري لنقل رسالة شفوية من لغة معينة إلى لغة أخرى، وإما نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللسانية ".(5) فهو يرى أن عمل الترجمة يقوم في الأساس على قول نفس الشيء بطريقة أو بصيغة أخرى، لذلك فان عملية الترجمة هي بمثابة اكتشاف للآخر، وهي بسط لثنايا أفكاره وتفسيرها وتأويلها وإعادة صياغتها، فالمترجم يقوم بنقل رسالة من لغة إلى أخرى، ولا يخرج ذلك عن عملية الفهم التي من خلالها يقترب من معاني النصوص المختلفة، " فعملية الفهم هي بمثابة احتراق للنص، وهو ما انتبه إليه "هايدغر" بذكاء، حينما اعتبر الفهم كاستيلاء وكامتلاك وبالتالي كعنف، لأن التمثل والتأويل بالنسبة إلى "هايدغر"، تشكل مجتمعة صيغة هجومية موحدة وضرورية ... وبخصوص الترجمة من لغة إلى أخرى، فان مثل هذه الإستراتيجية هي عبارة عن غزو واستهلاك إلى حد الإنهاك".(6)

فالترجمة ممارسة فلسفية وتفاعلية عن طريق النصوص المختلفة لتجعل منها عملا فكريا حول هذه النصوص وبالتالي تنصهر داخلها، فيحدث ذلك الازدواج والتكامل بينهما فتعمل اللغة دور الوسيط في ربط علاقاتها المتصلة فيما بينها، إذ لا يمكن أن تستمر خارج هذه النصوص لاسيما الفلسفية منها بحكم بحثها في مختلف مسائل المعرفة، فالعلاقة بينهما ليست فضولية وإنما حاجة دافعة ولازمة في نفس الوقت.

وإذا اعتبر التأويل هو ماء الحياة للنصوص، فان الترجمة " هي التي تنفخ الحياة في هذه النصوص وتنقلها من ثقافة إلى أخرى، والنص لا يحيا إلا لأنه قابل للترجمة، وغير قابل في الوقت ذاته، فإذا كان في الإمكان ترجمة نص ما ترجمة نهائية، فانه يموت، يموت كنص وكتابة ".(7)

تتألف عملية الترجمة عند "بول ريكور" من قطبين أساسيين: "الأجنبي أو الغريب والقارئ، أما المترجم فهو الواسطة بينهما، إذ هو الناقل لرسالة الأجنبي إلى لغة القارئ، وهو يقوم بذلك تعترضه مشاكل الترجمة سواء من جهة اللغة الغريبة أو من جهة اللغة التي سيترجم فيها رسالة اللغة الغريبة، هذا فضلا عن مدى إخلاصه هو أو خيانته لمدى صدق الترجمة".(8) وهو يتساءل هنا في ظل هذه المعطيات حول فكرة رئيسية هي هل الترجمة ممكنة أم مستحيلة؟، وهل نترجم المعنى أم الكلمات؟ وكتجاوز لهذه التساؤلات العقيمة يذهب إلى القول: " بأن الأعمال العظيمة قد شكلت على مر العصور موضوع ترجمات متعددة، ولهذا يرى أن الترجمة هي " تحد " هذا الأخير الذي يقول عنه " بيرمان " إنه يتخذ من المعنى وسلطة الترجمة رهانا".(9)

أي أن موضوع الترجمة بأهميته، وتعدده هو الذي يجعل منها ترجمة حاضرة دائماً، وتحاول الوقوف كسلطة معرفية مع كل نص يتضمن موضوعاً يدعو إلى الالتفات. وبما أن الترجمة مرادفة للتأويل، وهذا الأخير يشير إلى الاختلاف في الفهم، لأن هناك أراء متعددة ومعان مختلفة، فهي تدل على فهم وتأويل معين لرسالة تحملها لغة ما قصد نقلها إلى لغة أخرى، وعندما يتحدث ريكور عن الترجمة "فإنه يقاربها من جهة نظر تأويلية، أي أن الترجمة، مهما كانت تقنية، فإنها في نهاية المطاف عبارة عن تأويل"(10)، فقد دافع "بول ريكور" عن فكرة التدرج من الفهم إلى التفسير فالتأويل، "ومن هنا يغدو كل مترجم مؤولا".(11)

أي أن النص يصبح ملكا للمترجم فهو الذي يحرره ويدفعه للعيش دوما، وبالتالي يصبح المترجم ندا للمؤلف، فهذا الأخير ينتج النص للمرة الأولى أما المترجم فيعيد إنتاجه عدة مرات، فتمنح له الحياة كلما تتم إعادة ترجمته من جديد، وفي ذلك تفعيل لهذه اللغة وتطويرها من خلال عملية القراءة، فيصبح المترجم أفضل قارئ للنص باعتباره مصححاً ومحققاً له، بل يصبح كاتباً جديداً لهذا النص، فالقراءة فعالية تأويلية تنتج النصوص، وهذه الأخيرة هي التي تسمح بتعدد القراءات مثلما تتعدد الكتابات، وقد تكون الترجمة في اللغة الواحدة فتأخذ مفهوم التحويل (transformation) كما يذهب إلى ذلك "جاك دريدا". " كما أن اشتغال الترجمة كتحويل يقود إلى نوع من التحول الدلالي في سمات النص وآثاره ووقعه، ويتم ترهين

هذا التحول من خلال عمليات الصوغ السياقي للنص في وضعيات جديدة مختلفة زمنيا وثقافيا ".(12)

إلا أن "بول ريكور" قد شد الانتباه إلى قضية أخرى ألا وهي علاقة الذات بالموضوع، والأنا بالآخر، "وهي إشكالية حقيقية تطرح على المترجم الذي يجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يقرب المؤلف من القارئ، هنا يقوم بعملية إلحاق ودمج للعمل فيلغي خصوصيته، أو يقرب القارئ من المؤلف، فيعمد إلى تغريبه، وهي الفكرة التي أثارها "شلايرماخر" بحدة وفي أكثر من موضع من بحثه".(13) فعملية الترجمة تستدعي من المترجم أثناء عمله أن يقف على أطراف هذه العملية المعرفية، بداية من المؤلف الذي حرّر النص، إلى القارئ المتقبل لهذا النص، كما أن ثقافة الأول يمكن أن تختلف عن ثقافة الثاني، ومن ثم وجب عليه احترام تلك المسافة الثقافية بينهما.

إن تعدد اللغات واختلافها بين البشر يعد شيئا معروفا، فكل البشر يتكلمون بلغتهم الخاصة التي اعتادوا عليها، لكن ذلك لا يعني أنهم غير قادرين على تعلم لغات أخرى إضافة إلى لغتهم الأم، إلا أن ذلك طرح شيئاً من الجدل الذي شكل نوعاً من الانغلاق للترجمة داخل بديل يجب التخلص منه، وهو " تنوع اللغات الذي يعبر عن تنافر جذري، ومنه تكون الترجمة مستحيلة نظرياً، لأن اللغات قابلة للترجمة فيما بينها قبليا، أو أن الترجمة إذا أخذت كحدث فإنها ستفسر بذخيرة مشتركة تجعل الترجمة ممكنة، لكن هنا يجب إما العثور على هذه الذخيرة المشتركة، وهو الطريق المؤدي إلى اللغة الأصلية(الأولى). أو إعادة بنائها منطقيا وهو الطريق المؤدي إلى اللغة الكونية..وسواء أكانت أصلية أو كونية، فان هذه اللغة المطلقة يجب إظهارها من خلال مرصوفاتها الصوتية، واللفظية والتركيبية والبلاغية".(14)

إلا أنه وبالنظر إلى الأمر الواقع فإننا نجد أن الترجمة موجودة، ووجودها دليل على أنها ممكنة فمع الاعتراف بتنوع اللغات " فإنه توجد هناك بنيات خفية إما لأنها تحمل اثر لغة أصلية مفقودة والتي يجب إيجادها، وإما وجود شفرات ما قبلية في شكل بنيات كلية، أو متعالية يمكن إعادة بنائها ".(15)

فالترجمة عن طريق هذا التواصل اللغوي والثقافي بين مختلف الشعوب والأجناس، تكون قد حققت نوعا من الانجاز والتكامل المعرفي، وتبادل ما كان سائدا في اللغة الأولى والنص الأول في بيئة نصية أخرى جديدة بكل مستوياتها وسياقاتها، ففي ذلك تجديد لما هو قديم وفتح الجديد على ما هو قادم، مما يسمح للغة بأن تتكلم عبر الذات الإنسانية، فهي تتعدد لتكون موطن هذا الوجود ولكينونته كما يقول "هيدغر".

لقد اهتم أيضا الفيلسوف الألماني "هانس جورج غادامير" بمسألة الترجمة وأعلى من شأنها، وقد لا يخرج ذلك عن اهتمامه بمسألة التأويل، وبما أن هذا الأخير يعمد إلى الوقوف على مختلف النصوص وكشف أغوارها، والتعمق في معانيها المتعددة، فهو يُظهر في الكثير من الأحيان عن لغة أخرى، غير لغة ذلك النص الأول، انطلاقا من المعنى الموجود في هذا النص، وهنا لابد من حضور الترجمة كتأويل لهذا النص، بحيث يرى فيها "طريقة لامتلاك كل ما هو أجنبي".(16)

أي يصبح كل ما هو متعلق به قابل للفهم، وهذا الأخير يقترن بالترجمة، إذ لا تتم الترجمة بدون فهم، كما أن الفهم هو بشكل من الأشكال ترجمة للموضوع أو أفكار الكاتب، ويوضح "هانس جورج غادامير" هذه العلاقة الوطيدة بين الترجمة والتأويل، وقد قرب بينهما حتى جعل منهما مفهومين مترادفين، أو ينوب أحدهما عن الأخر، حيث يقول: " معنى التأويل والفهم، هو أنني أفهم وأعبر دلالة النص حسب أقوالي وتعبيراتي الخاصة، لهذا تعتبر الترجمة إحدى النماذج والقواعد الهامة في التأويل لأن الترجمة ترغمنا ليس فقط على إيجاد اللفظ المناسب وإنما أيضا إعادة بناء وتشكيل المعنى الحقيقي للنص داخل أفق لغوي جديد تماماً ".(17)

فهي تحمل ما تنقله النصوص من لغتها الأصلية، أي لغة المصدر إلى لغة تكون هدفها ومرادها، ولا شك أن في ذلك تطويرا لثقافة النص الثاني ولدلالاته وأبعاده المختلفة " فكلما كانت النتيجة المحصلة من النص المصدر كلما عمت الفائدة، وكلما كان هذا الحصول ناجزا وتاما كلما أدت الترجمة أسمى ما عندها من خصائص وظيفية ".18 فهي ليست عمل سطحي يكتفي بنقل معنى لغوي من لغة إلى أخرى، بل إن وظيفتها أسمى من ذلك فهي تعمل على اكتساب ثقافة النص وتطويرها بشكل جديد وفق اللغة المناسبة لذلك، والتطلع إلى تحقيق ترجمة حقيقية، " فالترجمة الحقيقية تستلزم دوما الفهم الذي نسعى إلى

تفسيره وتوضيحه، وهو أمر لم يناقش بإسهاب، إن الترجمة تستحيل دون فهم دقيق وصحيح مثل الفهم الذي نستعين به في إدراك خطاب في لغتنا الأم وعليه، نظام الأشياء هو على النقيض من ذلك، عندما نفهم النص يمكننا عندئذ مباشرة الترجمة، لأنه لا يمكننا الشروع في الترجمة دون أن نفهم مسبقا حول ماذا يدور موضوع النص ".[19] فهي لا تختلف عن العمل التأويلي كون المترجم يقوم بتفحص النص من خلال الجمل والكلمات في معانيها ودلالاتها، فعمله هذا لا يخرج عن التفسير،" فالترجمة يجب أن تكون تفسيرا، وهذا هو غاية أهداف التأويلية كما يطرحها " هانس غادامير" : كل ترجمة بحقيقة ذاتها تفسير، وبالفعل نستطيع أن نقول أنها تتويج للتفسير الذي وضعه المترجم للعمل الذي يواجهه ".[20]

يقول" ايزرا بوند Ezra pound": " انحصرت مهمتي في إحياء رجل ميت، أي في تقديم شخصية حية، وذلك من خلال تشبيهه إعادة إنسان ميت مرة أخرى إلى الحياة، وفي هذا تركيز على النص الهدف الذي يتجدد بقراءة من لغة أخرى لنص شاعر – مثلا – ميت في لغة النص المصدر ".[21]

الترجمة ومسألة الفهم:

" إن الترجمة تسكن كل خطاباتنا وتصاحب كل جهد فكري نقوم به، وهي إذا تأملاها بطريقة جدية يمكن أن نقول مثلما قال "شلايرماخر"، ومن بعده "هانس جورج غادامير" أنها الشكل الأمثل للفهم والنتيجة الفاضلة لصيرورته وعملياته".[22] وهذا ما يفسر تلك العلاقة الموجودة بين الفهم والترجمة من خلال ما تقدمه هذه الأخيرة من سهولة في الفهم، ومن ثم على المترجم أن يعرف كيف يستخدم تلك اللغة التي من خلالها تتم عملية الفهم، وفق ما هو مترجم، هذه المهمة التي تحدث عنها "فالتر بن يامين"، الذي كتب " مهمة المترجم " عن اللغة المثالية واللغة الصافية، التي هي من تعبيرات الكاتب وتبدو كأفق خالص لفعل الترجمة.

فأسطورة "بابل" تحكي كيف كان للناس لغة واحدة في الأصل، ثم تدخل الله الذي جعل الناس شعوبا وقبائل مختلفين في لغاتهم وأساليب حياتهم، وكلمة بابل هي في الحقيقة من البلبلة، أي التفرق والتشتت، بما فيه اللغوي، لكن هل هو تشتت مطلق بحيث يذهب كل في طريقه وينزوي داخل ثقافته وكتبه؟ "[23]، فالاختلاف شيء موجود منذ القدم حيث تعددت الألسن بين مختلف الشعوب، فكانت الترجمة هي من يجمع هذا الاختلاف والتنوع في فهم تلك الثقافات، " حيث يرى" بول ريكور" في هذا التفسير النظري تجاهل لواقع الترجمة التي تشهد تطورات ملحوظة، وهي ظاهرة موجودة منذ القدم، بصرف النظر عن دعوى إمكانيتها أو عدم إمكانيتها، ذلك أن التعدد اللغوي يطرح مسؤولية المترجم ".[24]

إن مهمة المترجم كما يعتقد" فالتر بن يامين": " هي أن يسمح للنص بأن يبقى ويدوم، وفي هذا البقاء الذي لا يستحق هذا الاسم إن لم يكن تحولا وتجددا، يتحول النص الأصلي أي انه ينمو ويتكاثر".[25] فتسهم الترجمة في رفع حواجز الاختلاف اللغوي، بحيث تكون الفضاء الذي تتنوع فيه اللغات، ومن ثم تتيح الفرصة لكل لغة مترجمة ببسط محمولاتها المتعددة، وبالتالي تتاح فرصة التأويل لمختلف القضايا والموضوعات التي تطرح في مجالات مختلفة، حيث تصبح اللغة العامل المهم في تكريس جهود الترجمة التي تمنح الاستمرارية لهذه النصوص في الانبعاث من جديد.

" ليست الترجمة إذن انتقالا من محتوى دلالي قار نحو شكل من التعبير مخالف، وإنما هي نمو وتخصيب للمعنى بفعل لغة تكشف بفضل عملية التخالف الباطنية عن إمكانيات جديدة، فبعيدا أن تكون الترجمة مفعول غياب فهم manque يسعى المترجم إلى ملء فراغه، فإنها إبداع يأخذ نقطة انطلاقه في ما تعرفه اللغات من تعدد واختلاف ".[26]

تحمل اللغة الكثير من المعاني والدلالات، وهذا ما يجعلها تتفاعل مع مختلف السياقات الظاهرة والمخفية للنصوص، قصد تحقيق الإبداع المعرفي والفني الذي تتماشى وتحيا من خلاله عن طريق الترجمة التي تكون بمثابة المنتج المؤول لهذه النصوص. فالترجمة إذا كانت ثمرة من ثمرات الإبداع فإنها لا تنفصل عن التأويل، لأنها تنتج خطابا جديدا أي خطابا ناجما عن قراءة المترجم للنص الأصلي، وتبلغ هذه القراءة منتهاها عندما تتحول إلى تأويل، أي إلى نص أو قول، أو خطاب يمتلك مقوماته الخاصة تماما، وهذا يعني أن بوسع أي قارئ أن ينتج نصا جديدا ابتداء منه".[27]

إن المترجم قد يجد نفسه أمام لغات متعددة ومتباينة، الأمر الذي يفرض عليه ممارسة عملية الترجمة، " وهي ممارسة لا تخرج عـن إطـار جـدل الأمانـة والخيانـة، فالأمانـة تشـد المـترجم إلى الإخلاص والموضوعية وتوخي الحيطة والحذر، بينما الخيانة شعور يراود المترجم دائما، لأنـه يـدرك انـه مهمـا بـذل مـن جهـد، لـن يصل إلى ترجمة طبق الأصل، أو ترجمة كاملة ".[28] فالمعنى يتعدد بتعدد الكلمات واختلافها في كل لغة من اللغات، مما يجعل من الدلالة اللغوية لها أوجه مختلفة وفي سياقات متباينة لكل نص من النصوص، وهذا ما يفسر سوى حدوث ترجمة نسبية تهدف إلى تحقيق تناسب مع النص الأصلي. أو إنها على حد تعبير القول الفرنسـي المـأثور" الخائنــات الجمــيلات في خيانتهــا للــنص الأصلي".[(29)]

الترجمة وممر اللغة:

إذا كـان التأويـل عبـارة عـن كشـف لمـا هـو خفـي مـن معـان مختلفة ودلالات متنوعة، فإن الترجمة هي أيضا كشف وتوضيح لما هـو قـابع في لغـة الأخـر، وغير المكتمل والمفسر بلغة أخرى، حيث يسعى كل مترجم أن يحقق هذا الهدف باللغة التي لم تتم الترجمة إليها بعد، أو حتى في اللغة الواحدة لكن بشكل آخر أكثر فهما وتفسيرا، ويشير الكثير في ذلك إلى مثال " القواميس " الـتي تـترجم فيهـا المعـاني والكلمـات داخـل اللغـة الواحـدة، باعتبارها ترجمة داخلية في النص الواحد، مما يجعل منها عملا تأويليا أو كما يقول "هيدغر" أن جوهرهما أي الترجمة والتأويل هو الشيء نفسه.

" قد تكون الترجمة من الأمور المستحيلة، وقد تكون تظليلاً وخداعاً، تزويراً واختراعاً، أكذوبة بيضاء، إلا أن من يشارك في حركة الأسلوب وينقلها من لغة إلى أخرى، يصبح أذكى ليتحول إلى قـارئ أفضـل، أقـل اعتـدادا بنفسـه، لكـن أكثـر رهافـة في أحاسيسه، وأكثر سعادة".[(30)] فالترجمة لا تعكس علاقة بين لغتين مختلفتين فحسب، فهي توسع مدى اللغة المترجم إليها وتزيد من كثافة وتعقيد قاموسها ومعجمها اللغوي، وتولد داخل اللغة صورا ومعاني غير مسبوقة، وبالتالي تخلق نمط تعبير جديد عــن الوجــود والعــالم، وتحــث علــى نحــت مفــردات جديــدة ومصطلحات حديثة تواكب وتستوعب ما يحصل في العالم.

فالترجمـة تقـف إلى جانـب التأويـل في كيفيـة التعامـل مـع النصـوص، محاولـة في ذلـك أن تجعـل مـن العمـل مسـتمرا في الكشف والإنتاج، وتحقيق التواصل المعرفي والفكري بين الثقافات المختلفة على تعدد لغاتها وسياقاتها، مما يطرح نوعا من المماثلة التأويلية، بحيث يتم فهم المعنى وإدراكه من خلال هذه النصوص ومـن لغـة إلى أخـرى، ثم أنها تسـمح بمحـاورة الـنص عـبر الـذات الـتي تحـاول إدراك هـذا العـالم في لغاتـه المتعـددة، انـه الـدور الـذي يقدمه المترجم في محاولته التأويلية، أي كمؤول لرسالة النص بغية الوصول إلى الهدف، كما يتضح في الهرمينوطيقا الغربية في صورة رسـول الآلهـة الـذي ينقـل تلـك الرسـالة مـن الآلهـة إلى الشـعوب، أي من الأصل إلى الهدف وبلغة الحقيقة الخالصة.

إلا أن عمل الترجمة عندما يكون عبارة عن تحول النصوص مـن سـياقات اللغـة الأصـلية إلى لغـة أخـرى، فـان هـذا مـا ترفضـه الميتافيزيقا الغربية اعتقادا منها بان النص الأصلي عندما يتعرض لهذه الرؤيا اللغوية عندها يفقد مكانته الأصلية " المقدسة " أي يصبح مهـددا بصـور وأشـكال نصـية أخـرى، غـير تلـك الصـورة المنفردة التي كان يحملها، وكأن الترجمة هنا لا تستطيع أن تحقق مـا حققـه الـنص الأصـل، فلغـة الـنص الهـدف أو المـترجم لا تضـاهي لغـة الـنص الأول ولا تكشـف عـن حقيقـة أخـرى لأن الحقيقة واحدة وغير متعددة، " وأكثر النقص في الترجمة يأتي من الترجمة عن الترجمة ".[(31)]

وبالتـالي قـد تكـون الحقيقـة في الـنص الثـاني مؤقتـة في ظـل غيـاب ترجمـة نهائيـة ومتمكنـة، تسـمح بتفكيـك لغـة الأصـل تفكيكا تاما قصد الوصول إلى المعنى المقصود من طرف المؤلف، فـالمترجم قـد لا يقـدم نصـاً مكـتملا لأن اللغـة تضـل دومـاً لغـة أخـرى، إلا أن الأصـل لا بـد لـه مـن أن يظهـر، فهـو في حاجـة إلى الترجمة، أي يعبر عن رغبته في البقاء والحياة، " فكما لو أن النص يشيخ في لغته فيشتاق إلى أن يرحل ويهاجر ويكتب من جديـد، ويتلـبس لغـة أخـرى، وكمـا لـو أن كـل لغـة تصـاب في عزلتها بنوع من الضمور، وتضل ضعيفة مشلولة الحركة، متوقفة عـن النمـو. بفضـل الترجمـة، يكتـب "جـاك دريـدا"، اعـني بفضـل هـذا التكامـل اللغـوي الـذي تـزود عـن طريقـه لغـة الأخـرى بمـا يعوزهـا، وهـي تزودهـا بـه بكيفيـة متناسـقة، فـإن مـن شـأن هـذا

الالتقاء (croisement) من شأن هذا التلاقي بين اللغات أن يضمن نمو اللغات وتزايدها ".(32)

مع كل هذا تضل الترجمة عملية تأويلية تسعى إلى فهم آخر وجديد للمعنى الأصلي في نص ثاني وفق لغة ثانية، فبالإضافة إلى إعادة إنتاج النص تقوم ببعثه من جديد بفهم آخر وفق لغة أخرى. " فبالرغم مما تطرحه الترجمة على المستوى التقني من عذاب للمترجم، ومن صعوبات لا يمكن إغفالها، إلا أن "بول ريكور" يتقدم بالترجمة أشواطا إلى الأمام ويطلق سراحها من قيود الجانب التقني ليضعها ضمن إطار التأويل، إذ الترجمة في رأيه مهما كانت تقنية فهي في جوهرها مسألة تأويلية بامتياز".(33)

خاتمة:

لقد تجاوز "بول ريكور" تلك الأطروحات النظرية حول الترجمة، وربطها بما هو عملي لأنها موجودة في هذا الواقع الذي يجعل منها حاجة إنسانية، تخدم كل الناس في اتصالهم وتواصلهم، وتفاهمهم، وتقوي دعائم الحوار ونشر الثقافات، بل تسعى إلى ما هو أخلاقي، كما يرسمه" بول ريكور" في مفهوم الضيافة اللغوية، " أين متعة السكن في لغة الأخر متعادلة بمتعة الظفر عنده، في بيته الخاص للاستقبال، بكلام الأجنبي".(34)

فإذا كانت الترجمة عملية تأويلية تستهدف النصوص في أجزائها لتصل إلى الكل، وبشكل من التماسك والانسجام، فإنها تتجاوز ذلك إلى ما هو أسمى في علاقة الأنا بالآخر، وبلغته ووجوده.

الهوامش:

1. دايفيد جاسبر، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 9.
2. المرجع نفسه، ص8.
3. المرجع نفسه، ص7.
4. المرجع نفسه، ص8.
5. عز الدين الخطابي، في الترجمة والفلسفة السياسية والأخلاقية، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص27.
6. عز الدين الخطابي، الترجمة والتأويل، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ع 4، 2010، ص105.
7. احمد إبراهيم، سر الترجمة وهاجس التأويل، في التأويل والترجمة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص27.
8. لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص، ص 242، 243.
9. بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2008،1،ص11.
10. المصدر نفسه، ص 11.
11. المصدر نفسه، ص 12.
12.
13. محمد بوعزة، إستراتيجية التأويل: من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 52.
14. بول ريكور، عن الترجمة، مصدر سابق، ص 12.
15. المصدر نفسه، ص34.
16. المصدر نفسه، ص36.
17. غادمير هانس جورج، الحقيقة والمنهج، ت حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار اويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط1، 2007، ص 14.
18. غادمير هانس جورج، فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، ط2، 2006. ص131.
19. ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2009، ص 158.
20. غادمير هانس جورج، فلسفة التأويل، مصدر سابق، ص 131.
21. ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص100.
22. المرجع نفسه، ص157.
23. حسين خمري، جوهر الترجمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.ط)، ص 41.
24. لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، مرجع سابق، ص246.
25. المرجع نفسه، ص 246.
26. عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة أداة للحوار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص44.
27. المرجع نفسه، ص 46.
28. ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 99.
29. لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، مرجع سابق، ص 246.
30. ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 99.
31. غادمير هانس جورج، الحقيقة والمنهج، مصدر سابق، ص18.
32. حسين خمري، جوهر الترجمة، مرجع سابق، ص256.
33. عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة أداة للحوار، مرجع سابق، ص51.
34. بول ريكور والفلسفة، نابي بوعلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص200.
35. لزهر عقيبي، جدلية الفهم والتفسير، مرجع سابق، ص244.